

كربلاء والزمان المتوقّف: الإمام الحسين (ع)، الرجعة، والإسكاتولوجيا الإلهية للعدالة

تحليلٌ حوزويٌّ في التوقّف الميتافيزيقي للتاريخ بعد عاشوراء وحركته المتجدّدة في زمن الرجعة



BAQIYYAT ALLĀH INSTITUUT

Sji'itisch Kenniscentrum • Vertaling & Publicatie

مؤسسة بَقِيَّةُ اللَّهِ {عَجَّ} - هولندا

أكتوبر ٢٠٢٥

إن المأساة الكبرى ليوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ - المعروفة بشكل أفضل بعاشوراء - لا تشكل مجرد بداية تاريخ الشهادة الشيعية؛ بل إنها، وفقاً لكثير من العلماء، تمثل خطأ فاصلاً في الزمن الكوني ذاته. عندما لقي الإمام الحسين بن علي (ع) - حفيد النبي محمد (ص) - وأصحابه حتفهم في سهل كربلاء على يد قوات يزيد بن معاوية (لع)، لا يعتبر المجتمع الحوزوي التقليدي ذلك حادثة تاريخية مأساوية عابرة، بل حدثاً كوسمولوجياً أوقف الزمن. تشير النصوص المقدسة إلى أن السماء والأرض بكيا دماً وأن الشمس أشرقت حمراء لمدة أربعين يوماً. قال الإمام جعفر الصادق (ع) لزرارة: «بكت السماء أربعين يوماً على شهادة الحسين». يُقرأ مثل هذه الروايات كدليل على أن المسار العادي للزمان قد غُلق منذ عاشوراء حتى تُنجز عملية الثأر بواسطة عودة الإمام الحسين (ع) وعودة قاتليه في الرجعة.

هذه الرسالة وضعت بروح الدروس المقدسة للحوزة العلمية في النجف الأشرف وتحمل بركة تأثير سيدنا الأستاذ، سماحة العلامة السيد أحمد الحسيني الجوادى (دامت بركاته)، الذي أثار علمه وعمقه الروحي اتجاه هذا البحث. في هذا العمل يُدرس فكرة أن الله - منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) - أوقف ساعة التاريخ حتى تكتمل العدالة الإلهية في الرجعة. تفترض هذه الفكرة أن التاريخ يعيش فترة توقف لم يُحكم فيها بعد على ظالمي بني أمية بالكامل، وأن الزمان لن يستأنف إلا عندما يعود الإمام الحسين (ع) في الرجعة لينهض مع الإمام المهدي (ع) ويحقق النصر النهائي. إن أساس هذا التصور يكمن في آيات من القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة لأهل البيت (ع)، والمعاني التقليدية لمصطلحات مثل ثار الله (الدم الذي سيأخذ الله بثأره) والتأملات العقلية حول الزمان والعدالة. يفحص المقال الأدلة والشواهد القائمة ويضعها ضمن رؤية إسكاتولوجية أكبر يرى فيها التاريخ نفسه وقفاً - توقفاً -.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾

خادم باب حيدرة وذرة تراب تحت القبة الذهبية في النجف.

السياق التاريخي: كربلاء، بنو أمية وبداية التوقف

لفهم توقُّف الزمن يجب أولاً رسم السياق التاريخي. بعد وفاة أول حاكم أموي معاوية بن أبي سفيان (لع) تولى ابنه يزيد (لع) الخلافة. طلب يزيد (لع) البيعة العلنية من كبار المسلمين، ومن بينهم الإمام الحسين (ع). إن رفض الإمام الحسين (ع)، الذي اعتبر أنه لا يحق لرجل شهواني فاسد – مشهور بالسكر والفجور حتى مع أقاربه – أن يعلن نفسه قائداً للأمة الإسلامية، أدى في نهاية المطاف إلى مأساة كربلاء. في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ قُتل الإمام (ع) وإخوته وأبناؤه وأبناء عمومته وأصحابه على يد جيش من الآلاف بقيادة عمر بن سعد (لع). وكان من أشد مظاهر الوحشية أن القوات الأموية قطعت الفرات وحرمت معسكر الإمام (ع) من الماء لمدة ثلاثة أيام. عندما سقط الإمام الحسين (ع) أخيراً على الأرض، محاطاً بجراح معركته وخيانة العدو، ديس جسده تحت سنانك الخيل، وأرسل رأسه إلى دمشق، وأسرت عائلته.

أن بني أمية مذنبون بهذه الجريمة – ومعهم قادة انقلاب السقيفة – وأنهم أصل اضطهاد أهل البيت (ع) أمر لا جدال فيه في الأدبيات الشيعية التقليدية. حتى المؤرخون الذين يظهرون تعاطفاً مع الأمويين يعترفون بأن يزيد (لع) كان القائد الذي جعل قتل الإمام الحسين (ع) ممكناً. ومن المنظور الشيعي، ليس هذا مجرد جريمة ضد شخص مقدس واحد، بل هو خطيئة ضد النظام الإلهي. فالإمام الحسين (ع) كان في صف أهل البيت (ع) الذين اختارهم الله لقيادة الأمة؛ وبالتالي فإن قتل إمام معصوم هو اعتداء على الوحي الإلهي ذاته. وهذا الاعتداء هو الذي جعل الزمن في حالة توقف، لأن الجريمة عظيمة إلى حد لا يمكن تعويضه ضمن المسار التاريخي العادي. إن الصراع المستمر بين أتباع الحق ومعسكر الطاغوت لم يكن جديداً في سنة ٦١ هـ. تؤكد زيارة عاشوراء وتقاليد اللعن والتبري أن كربلاء ليست سوى تجلٍ للصراع الأبدي بين أولياء الله وأعدائه. يُرى يزيد (لع) وجنوده ورثة لفرعون ونمرود، بينما يُنظر إلى الإمام الحسين (ع) بوصفه وارث إبراهيم (ع) وموسى (ع). وتضفي هذه الرؤية الشرعية على التفسير اللاحق بأن معركة كربلاء تتجاوز التاريخ وستعود في زمن الرجعة.

الحزن الكوني وتوقف الزمن

السما والارض بكيا أربعين يوماً

تؤكد العديد من الروايات من المصادر الكلاسيكية أنه بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)

حدثت ظواهر كونية فريدة في تاريخ البشرية. في كتاب «نفس المهموم» يروي الإمام الصادق (ع) أن السماء بكّت دماً وأن الأرض أظلمت أربعين يوماً. قال لزرارة: «بكّت السماوات دماً أربعين صباحاً على الحسين، وأظلمت الأرض أربعين صباحاً، وخسفت الشمس وصارت حمراء أربعين صباحاً، وتصعدت الجبال وانفجرت البحار. وبكّت الملائكة أربعين صباحاً على الحسين». يرافق هذا الوصف خبر أن النساء في بيت الإمام (ع) لم يمشطن شعورهن ولم يكتحلن ما دام رأس الإمام الحسين (ع) لم يعد إلى المدينة. تذكر رواية أخرى أن السماء لم تبك على أحد غير الإمام الحسين (ع) والنبي يحيى بن زكريا (ع): «بكّت السماء والأرض واحمرت؛ ولم تبك على أحد غير يحيى بن زكريا والحسين». فسر الإمام الصادق (ع) معنى بكاء السماء بقوله: «طلعت الشمس حمراء وغربت حمراء»، مما يشير إلى اضطراب كوني. في «مستدرك الوسائل» يذكر الإمام الصادق (ع) لزرارة: «بكّت السماء أربعين يوماً على الحسين». هذه تكرار الرقم أربعين ذو دلالة: فالأربعون في التراث الإسلامي فترة اكتمال وانتقال (الأربعين). يشير ذلك إلى أن الحزن الكوني يمثل انتقالاً إلى مرحلة كونية أخرى.

إلى جانب السماء، بكّت الحيوانات والجن أيضاً. تنبأ الإمام علي (ع) حسب «نفس المهموم» بأن الوحوش البرية ستطيل أعناقها نحو قبر الإمام الحسين (ع) وستبكي من الليل حتى الصباح. كلفت الملائكة بالحراسة عند القبر والبكاء حتى يوم القيامة. وحدد الإمام الصادق (ع) طيوراً مثل الرّعي بأنها تلعن قتلة الإمام الحسين (ع). وتروي رواية أخرى أن البوم تركت الأماكن المأهولة وبقيت في الخرائب فقط، وهي تصرخ: «يا لكم من أمة سيئة قتلتم ابن نبيكم!». يرفض بعض المؤرخين الحدائين هذه الروايات باعتبارها من قبيل السيرة التقديسية، لكنها ضمن السياق الحوزوي تُعتبر وصفاً لصدع كوني. فالسماوات والأرض والجبال والبحار والحيوانات والملائكة كلها في حالة حداد لأن نظاماً إلهياً قد اختل. يُنظر إلى احمرار السماء وضعف الضوء على أنه إشارة إلى أن الزمن ذاته ينزف. بعبارة عقلانية: إن الزمن الخطي الذي ينظم خلق الله قد تعرض لصدع؛ توقفت ساعة التاريخ لأن الظلم انتهك بنية الكون.

ثأر الله – الدم الذي سيأخذ الله بثأره

أحد الألقاب التي تستخدم في الزيارات والأدعية للإمام الحسين (ع) هو «ثأر الله» – بمعنى «دم الله» حرفياً. تخاطب زيارة عاشوراء وزيارة الوارث الإمام (ع) بقولها «يا ثأر الله

وابن ثاره». لغوياً يمكن أن يعني الثأر «الدم الذي يجب الانتقام له» أو «الشخص الذي يُنتقم لدمه». يشرح المفسرون أن الله - إما مباشرة أو عبر أوصيائه - سيأخذ بثأر دم الإمام الحسين (ع). الإمام الحسين (ع) نفسه هو رمز لهذا الدم المأخوذ بالثأر؛ هو ثار الله لأن شهادته خلقت ديناً إلهياً لا يمكن أن يُسدّده إلا الله. إن ضرورة أن يرتاح هذا الدم موضوع يعود في الزيارات: حيث يطلب المؤمنون من الله أن يتيح لهم المشاركة في أخذ ثأر دم الإمام الحسين (ع).

يربط مفهوم ثأر الله توقف الزمن بتأخر الانتقام. طالما لم يُنتقم لدم الإمام (ع)، يبقى الزمن متوقفاً؛ التاريخ مشلول لأن الجريمة لم يتم تصحيحها. يتوافق هذا مع الإسكاتولوجيا الشيعية الأوسع التي ترى العالم في حالة ظلم حتى يظهر الإمام المهدي (ع) ليقيم العدل. فقط عندما يتحقق الانتقام سيهدأ الكون ويمكن للساعة أن تدق مرة أخرى.

القرآن والتقليد: أدلة نصية على الرجعة

الفكرة التي تقول إن الناس سيعودون إلى هذا العالم قبل يوم القيامة تُسمى في التقليد الإثني عشري «الرجعة» و«الكرة». بحسب تعريف كلاسيكي، تعني الرجعة «عودة جماعة من الناس بعد موتهم وقبل يوم القيامة». هذه العقيدة لا تتعارض مع العقل ولا مع الوحي؛ فروج الإنسان تبقى حية بعد الموت، والله - سبحانه - يمتلك القدرة على أن يعيد من يشاء إلى الحياة. يذكر القرآن عدة أمثلة لأشخاص أعيدوا إلى الحياة بشكل مؤقت، مثل القوم الذين ماتوا فأعادهم موسى (ع)، وأصحاب الكهف؛ وهذه تشكل سوابق لإمكان العودة.

الأهم بالنسبة لمفهوم الرجعة هو الآيات التي تتحدث عن قيام جزئي قبل القيامة العامة. تقول سورة النمل: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا». يُميز هذا الفوج عن البعث العام الذي يوصف في مواضع أخرى من القرآن، حيث يُجمع جميع الناس. وفقاً للمفسرين، يشير هذا الآية إلى أن هناك بعثاً مؤقتاً يعود فيه جمع مختار إلى الأرض ليشهدوا عقابهم أو ثوابهم. وبذلك يفي بالاعتقاد بأن الطغاة الكبار والمؤمنين الصادقين سيحظون بفرصة لرؤية نتائج أفعالهم في الأرض.

شدد الإمام جعفر الصادق (ع) على واقعية الرجعة بقوله: «أيام الله ثلاثة: يوم القائم (المهدي)، ويوم الرجعة، ويوم القيامة». وفي رواية أخرى قال: «من لم يؤمن برجعتنا

فليس منا». تظهر هذه الأقوال أن الاعتقاد بالرجعة جزء لا يتجزأ من العقيدة الإمامية. جمع العلامة المجلسي في موسوعته «بحار الأنوار» أكثر من ١٦٠ رواية عن الرجعة وخلص إلى أن كثرتها تجعل الاعتقاد بها يصل إلى مرتبة التواتر. تُقدّم آيات مثل سورة النمل ٨٣:٢٧ وسورة غافر ١١:٤٠ كأدلة. وعلاوة على ذلك، تشير زيارات الأئمة مراراً إلى عودتهم، مما يدل على أنها جزء أساسي من العقيدة.

أحاديث عن عودة الإمام الحسين (ع)

في داخل الأدب الحديثي توجد روايات خاصة تؤكد عودة الإمام الحسين (ع). تذكر رواية (يرويها الإمام الصادق عبر سهل بن زياد) أن النبي (ص) قال للإمام الحسين (ع) إنه وأصحابه سيُقتلون ثم يعودون ليقفوا في القتال حتى يمنحهم الله النصر. تصف مثل هذه الروايات مشهداً ملحمياً ينزل فيه الإمام الحسين (ع) مع النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) والملائكة ليقاتلوا ظالميه. وفقاً لرواية موثوقة أخرى، سيكون الإمام الحسين (ع) أول من تنشق له الأرض؛ سيعود ليعين القائم ثم يحكم حتى تتدلى حاجباه على عينيه. أكثر الروايات استشهاداً هي أن الإمام الحسين (ع) سيعود عندما يظهر الإمام المهدي (ع). سيتولى دفن القائم ثم يحكم سنوات عديدة. ترد هذه القصة في عدة مجموعات روائية وتُعتبر عادة موثوقة. سيسلم الإمام المهدي (ع) بعد ثورته زمام الحكم إلى الإمام الحسين (ع)، والذي سيقود العالم بعد ذلك بالعدل الكامل. خلال هذه الفترة ستُعاد معايشة التاريخ بأكمله: سيقابل أتباع الإمام الحسين (ع) أتباع بني أمية مرة أخرى، ولكن هذه المرة سيكون النصر الحاسم للإمام (ع).

على الرغم من أن بعض الأكاديميين المعاصرين يشككون بشكل غير صحيح في صحة بعض أحاديث الرجعة، إلا أنه من اللافت أن حتى الدراسات المتشككة تعترف بأن فكرة عودة الأمويين ليعاقبوا كانت واسعة الانتشار بين علماء الشيعة الأوائل. تذكر رسالة أمينة إنلوس أن هناك ثمانى روايات تصف بعث الأمويين ومعاقتهم، وأن الشيخ المفيد أشار في مناظرة مع المعتزلة إلى إحياء ومعاقة يزيد (لع). وعلى الرغم من أن إنلوس تعتبر العديد من هذه الروايات غير موثوقة، فإنها تقر بأن فكرة عودة قتلة الإمام الحسين (ع) «كانت منتشرة وليست في صراع مع الروايات الموثوقة». الخلاصة من منظور حوزوي، الذي يزن أسانيد الروايات ويراعي الانسجام الداخلي للعقيدة، هي أن من المعقول القول إن الظالمين الكبار سيعودون للقصاص في الرجعة.

الدور الإسكاتولوجي للإمام المهدي (ع) والانتقام للإمام الحسين (ع)

في الإسكاتولوجيا الشيعية، يرتبط رجوع الإمام الحسين (ع) ارتباطاً وثيقاً بظهور الإمام المهدي (ع)، الإمام الثاني عشر الذي يعيش في غيبة منذ سنة ٢٦٠ هـ. تُعرّف الأحاديث الإمام المهدي (ع) بأنه وارث دم الإمام الحسين (ع). فسر الإمام الصادق (ع) الآية القرآنية: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا» بأن النفس المقتولة هي الإمام الحسين (ع) والولي هو القائم (الإمام المهدي). تعطي هذه الآية الإمام المهدي (ع) الحق – والواجب – في الانتقام لمقتل الإمام الحسين (ع).

تذكر الرواية أن الإمام المهدي (عليه السلام) سيبدأ حركته في مكة بأن ينادي عند الكعبة: «يا أهل العالم، إن جدي الحسين قُتل عطشاً... أنا المهدي وسأثأّر لدم الحسين». يرتبط في هذه الدعوة الثأر للإمام الحسين (ع) صراحة بمهمة الإمام المهدي (ع). وفقاً لهذه القراءة، عندما يؤسس الإمام المهدي (ع) حكمه سيعيد يزيد (لع) وأتباعه إلى الحياة، ثم يعود الإمام الحسين (ع) ليواجههم مع الأشخاص أنفسهم. يؤكد دعاء الزيارات هذه الصلة. ففي «كامل الزيارات» ينصح الإمام الصادق (ع) أنه بعد أداء الزيارة للإمام الحسين (ع) ينبغي أن يدعو: «اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْحُسَيْنِ، أَشْفِ صَدْرَ الْحُسَيْنِ، بِظُهُورِ الْحُجَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ». يشرح النص أن هذا الدعاء منطقي لأن «الإمام المهدي هو الذي سيأخذ بثأر دم الإمام الحسين». ما دام الإمام المهدي (ع) لم يظهر ولم يُنْتَقَمَ للدم، يبقى قلب الإمام الحسين (ع) غير مطمئن ويبقى الزمان متوقفاً.

تدعم الآيات القرآنية هذا الموضوع. ففي سورة القصص (٢٨:٥) يعد الله بأنه سيجعل المستضعفين قادة وورثة للأرض. يقرأ تعليق الأئمة (ع) هذا الوعد كإشارة إلى عائلات الإمام علي (ع) والإمام الحسين (ع)، الذين رغم اضطهادهم سيستلمون السلطة في النهاية من خلال الإمام المهدي والإمام الحسين في الرجعة. وتنص آية أخرى: «وَلَنُنْذِرَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ». يرى بعض المفسرين أن هذه الآية تشير إلى الانتقام في الرجعة حيث يتعرض الظالمون لعقوبة مؤقتة على الأرض.

عقلانية الرجعة: الثواب والعقاب

للرجعة هدفان رئيسيان: (١) إظهار الجمال الحقيقي والمجد للإسلام في مواجهة قبح الكفر، و(٢) مكافأة المؤمنين ومعاقبة الكافرين. توضح هذه العقلانية لماذا يجب أن يعود

الإمام الحسين (ع) وأتباعه: فقد كانت تضحيتهم سامية جداً لدرجة أن لهم الحق في حكومة أرضية يجنون فيها ثمار معاناتهم، بينما يُعاقب المجرمون الذين قتلوهم علناً. هذا الانتقام العلني ضروري لجعل العدالة الإلهية مرئية. فقط عندما يقع العقاب، يمكن للتاريخ أن يستمر.

يتم أيضاً شرح الفرق بين الرجعة والتناسخ. الرجعة لا تعني أن الأرواح تنتقل باستمرار بين أجساد أخرى؛ بل هي عودة مؤقتة لأشخاص مختارين لمهمة محددة، ثم يموتون مرة أخرى ويبعثون مع بقية البشر. هذا ليس عملية دورية للتناسخ كما هو الحال في عقيدة التقمص، بل هو تدخل فريد في خط الزمن أرادته الله.

عودة بني أمية: الضحايا مقابل الجناة

جانب حاسم من فكرة توقف الزمن هو أن مرتكبي جريمة كربلاء، وخاصة نخبة بني أمية، لم يتلقوا بعد عقابهم الكامل. يشير علماء الحوزة إلى روايات تفيد بأن أشخاصاً محددين من عشيرة أبي سفيان (لع) سيعودون ليُحاكموا. كما ذكر أعلاه، جمعت أمينة إنلوس (الدكتورة أمينة إنلوس — (Amina Inloes) باحثة وأستاذة في الدراسات الإسلامية الشيعية في «الكلية الإسلامية» بلندن، حاصلة على الدكتوراه من جامعة إكستر (المملكة المتحدة)، متخصصة في الفكر الشيعي وقضايا المرأة في التراث الإسلامي، وتشغل منصب رئيسة برنامج الدراسات الإسلامية ومحاضرة مجلة **Shi'a Islamic Studies**) ثمانى روايات تتحدث عن بعث ومعاقبة الأمويين. وعلى الرغم من أنها ترى أن معظم الأسانيد ضعيفة، إلا أنها تلاحظ أن الشيخ المفيد وغيرهم من العلماء الأوائل أخذوا فكرة عودة يزيد (لع) وعشيرته لتلقي عقابهم على محمل الجد. المنطق هنا بسيط: إذا كان الانتقام لدم الإمام الحسين عليه السلام جزءاً من العدالة الإلهية، فيجب أن يكون الجناة حاضرين لتلقي هذا العقاب. بدون هذا العنصر سيكون الانتقام مجرد رمزية مجتزأة أو غير كاملة.

ومن هنا يتبين أن الرجعة ليست مجرد عودة ظافرة للأتقياء، بل هي أيضاً عملية يظهر فيها نفس الشخصيات التاريخية – الأتباع المخلصون للإمام الحسين (ع) وقادة وجنود جيش بني أمية – على المسرح مرة أخرى. ستتواجه نفس الأرواح التي وقفت ضد بعضها قبل أربعة عشر قرناً مرة أخرى. تشرح هذه الفكرة سبب توقف ساعة التاريخ: فهي تنتظر مواجهة نفس الأبطال، وليس ممثلين مجهولين. إن الزمن لا يعود من أجل عمل رمزي، بل من أجل محاسبة فعلية للذين عاشوا في تلك الفترة. ويتردد هذا المفهوم أيضاً في الآيات

التي تتحدث عن يوم معلوم يُحاسب فيه ظالمو التاريخ على أفعالهم.

تأملات عقلية حول الزمن والتاريخ المقدس

إن إيقاف الزمن ليس حرفياً؛ فما زلنا نختبر الأيام والأشهر والقرون. فما معنى ذلك إذن؟ إن المنهج الحوزوي لا يمكن أن يكون بلا تأمل عقلي. في ما يُعرف بـ«الفلسفة الإسلامية» يُنظر إلى الزمن بوصفه عَرَضًا تابعًا للحركة والتغير في عالم المادة. وقد بيّن ملا صدرا - مؤسس نظرية الحركة الجوهرية (الحركة في الجوهر) - أن المادة في حالة تشكّل وتجدّد مستمرّين، وأنّ الزمن ليس سوى مقياسٍ لهذا التجدّد الدائم. فكما أنّ المكان يحدّد الامتداد المكاني، فإنّ الزمن يحدّد الامتداد الوجودي للحركة في البعد المتغيّر من الكائنات.

عندما يتحدث الأئمة (ع) عن توقف الزمن فإنهم لا يشيرون إلى انقطاع فيزيائي للحركة، بل إلى اضطراب في تاريخ الخلاص. تُستخدم كلمة «دهر» لوصف أبدية الله، بينما يشير «زمان» إلى الوقت الدنيوي. لقد حولت أحداث كربلاء مسار النظام الخلاصي عن مساره الخطي؛ فالدهر، أبدية الله، يظهر في الزمن من خلال المأساة ويمسك التاريخ رهينة حتى تتحقق العدالة. في هذا الضوء يمكن اعتبار الشمس الحمراء وبكاء السماء علامات على تدخل الدهر في الزمان. يرد الكون على الظلم بتعطيل النظام الطبيعي؛ تنهار الجبال وتتفجر البحار. عقلاً، فإن حالة العتبة التي تلي عاشوراء هي لحظة وقف - توقف - ينتظر فيها التاريخ عملاً تصحيحياً. يبقى الله التاريخ في حالة تعلّيق بحيث لا يُحاكم المذنبون بالكامل بعد، ولكنه يعيد التوازن من خلال الرجعة.

مفهوم آخر هو الوقت المقدس مقابل الوقت الدنيوي. في المقاربة الأنثروبولوجية لمرسيا إلباده (مرسيا إلباده (1907-1986م) - فيلسوف ومؤرخ أديان روماني، يُعدّ من أبرز منظّري الظاهرة الدينية في القرن العشرين، اشتهر بأبحاثه حول الرموز والأسطورة والزمان المقدّس، ومن أشهر مؤلفاته *المقدّس والمدنّس والأسطورة والواقع*) يمثل الزمن المقدس عودة أبدية؛ إذ تعيد الطقوس المؤمنين إلى لحظة الأصل. بالنسبة للشيعّة، ليست كربلاء مجرد حدث تاريخي بل طقس أبدي يعاد إحياءه سنوياً في عاشوراء. يتردد صدى توقف الزمن في الرؤية الحوزوية مع ذلك: فالمجتمع يستمر في إعادة كربلاء في المجالس والمسيرات، لا لمجرّد التذكّر، بل لأنّ الفاجعة ما زالت حيّة لم تُختم فصولها بعد. يقف التاريخ على توقف لأن ليتورجيا الحزن والثأر تُعاد باستمرار، تنتظر دوماً اليوم الذي تكتمل

تركيب الأدلة: حجج توقف الزمن

تُظهر النصوص والمفاهيم العقلية التي نوقشت مجموعة من الحجج التي تدعم فكرة توقف الزمن:

1. ردود كونية فريدة – بكت السماء والأرض دماً واحمرتا،
وخسفت الشمس، وانهارت الجبال، وانفجرت البحار. تشير مثل هذه الأوصاف إلى أنه لم تقع مجرد مأساة تاريخية بل اختلال في النظام الكوني. إن حقيقة أن هذه الظواهر وقعت فقط للإمام الحسين (ع) ويحيى (ع) يبرز طابعها الاستثنائي ويُلمح إلى أن الدورة الزمنية العادية قد علقت.
2. فترة الأربعين – يشكل تكرار الرقم أربعين في الروايات (بكاء السماء أربعين يوماً، عدم استخدام الزيت أو الكحل أربعين يوماً، حكم الإمام الحسين أربعين سنة في الرجعة) نمطاً. إن الرقم أربعين يمثل دورة كاملة؛ فكون الحزن الكوني استمر أربعين يوماً يدل على أن هناك مرحلة مكتملة من الحداد أعقبها حالة من السكون حتى تبدأ المرحلة التالية – الرجعة.
3. مفهوم ثأر الله – توضح الألقاب «ثأر الله» و«الوتر» أن لدى الله حساباً مفتوحاً يتعلق بدم الإمام الحسين. طالما لم يُثأر لهذا الدم، يبقى التاريخ في حالة تعليق. عندما يتلو المؤمن الدعاء: «اللهم انتقم لدم الحسين»، فإنه يقر ضمناً بأن الزمن متوقف وأن الثأر ضروري لإعادة تشغيله.
4. الرجعة شرط لتحقيق العدالة – تدعم آيات القرآن عن بعث فوج من كل أمة وحق الولي في الثأر أن هناك عودة قبل يوم القيامة يتحقق فيها العدل. وبما أن يزيد (لع) وأتباعه لم يتلقوا بعد العقاب الموعود، فلا بد من وجود توقف زمني يُستدعون فيه ويُحاسبون بواسطة الإمام الحسين نفسه.
5. روايات عن عودة الإمام الحسين – إن الحديث الذي يقول إن الإمام الحسين سيكون أول من يعود، وسيقوم بدفن الإمام المهدي ويحكم سنوات طويلة يثبت أن مهمته لم تكتمل بعد. لقد توقف التاريخ عند اللحظة التي انتهت حياته فيها وسيستأنف عندما يكمل مهمته غير المنجزة.
6. مفهوم أيام الله – إن قول الإمام الصادق (ع) إن أيام الله ثلاثة:

يوم القائم، ويوم الرجعة، ويوم القيامة يعني وجود ثلاث مراحل إسكاتولوجية. نحن الآن في انتظار المرحلة الأولى (الظهور) والثانية (الرجعة). فالزمن الدنيوي الحالي هو فترة انتقال بين هذه المراحل.

7. القبول الأكاديمي لعودة الجنة – على الرغم من أن بعض

الروايات الواردة في شأن الرجعة وعقاب الأمويين قد تعرّضت للتشكيك من قبل من يفتقرون إلى الفهم العقدي العميق، إلا أن حتى المشككين أنفسهم يعترفون بأن فكرة معاقبة يزيد (لعنه الله) وعشيرته في زمن الرجعة كانت واسعة الانتشار في التراث الروائي الشيعي، ولا تتعارض مع جملة من الروايات الموثوقة سنداً ومضموناً.

ويُستفاد من مجموع هذه النصوص أن عودة القتلة بأشخاصهم إنما هي لتكون العقوبة مشهودة ومرئية للخلق، تحقيقاً لمبدأ العدالة الإلهية التامة التي لا يكتمل معناها إلا بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وعودة الإمام الحسين (عليه السلام).

تقليد الشهادة واستمرار توقف الزمن

يحظى إحياء ذكرى عاشوراء – عبر المجالس الحسينية، والبكاء الطقوسي (اللطم)، والموكب الشعائرية، والشعر الرثائي – بمكانة مركزية في العبادة الشيعية. وتُعبّر الرواية القائلة: «بُرِنَ في قلوب المؤمنين نارا لائقة للإمام الحسين (عليه السلام) لا تبرد أبداً» عن أن التجربة العاطفية لكربلاء لا تخبو ولا تنطفئ عبر العصور.

وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام): «من بكى أو أبكى أو تباكى على الحسين (عليه السلام) وجبت له الجنة»، وفي رواية أخرى: «من بكى يوم عاشوراء كان يوم القيامة يوم فرجه». إن هذا الحزن الشعائري المتجدد لا يقتصر على مجرد التذكّار، بل يحافظ على وعي توقف الزمن بعد كربلاء حياً في وجدان الجماعة المؤمنة؛ فكلما ناح المؤمنون وأقاموا المأتم، فإنهم في الحقيقة يُقرّون بأن القصة لم تكتمل بعد، وأن حركة التاريخ لا تستأنف إلا بظهور الحسين (ع) في الرجعة، حيث يُستعاد الزمن ويُستكمل مشهد العدالة الإلهية المنتظرة. تعمل هذه البعد الطقوسي كغراء يربط المجتمع على مر القرون بلحظة كربلاء. إن التكرار السنوي لعاشوراء والأربعين يضع المؤمنين في زمن مقدس، زمن دوري يُعاد فيه إحياء الماضي حتى يُستكمل في المستقبل. هذا الطقس ليس مجرد تذكّر بل مشاركة: يرى المؤمن نفسه جندياً محتملاً للإمام الحسين (ع) في الحاضر وفي الرجعة

المستقبلية. لذلك فإن هذه الليتورجيا تذكير دائم بتوقف التاريخ والعودة القادمة.

الخلاصة: استئناف الساعة وتجلي العدالة الإلهية

إن النظرية القائلة بأن الزمن توقف منذ استشهاد الإمام الحسين (ع) ولن يُستأنف إلا عند عودته متجذرة بعمق في تراث أهل البيت (ع). يمكن تلخيص العناصر الرئيسية لهذا التصور على النحو التالي:

- الاختلال الكوني: تشير علامات فريدة مثل بكاء السماء، وظلام الأرض، والشمس الحمراء إلى أن النظام الكوني الطبيعي قد اختل بعد عاشوراء. تُقرأ هذه العلامات كوقف في الزمن.
- واجب الثأر: يعني لقب «ثار الله» أن دم الإمام الحسين (ع) دين مفتوح يجب أن يأخذ الله بثأره. ويؤكد الدعاء إلى الله للانتقام لهذا الدم أن الزمن متوقف ما لم يحدث هذا الثأر.
- الرجعة آلية لتحقيق العدالة: تشكل آيات القرآن حول بعث فئة من الناس وسلطة الولي في الانتقام أساساً نصياً لعودة الإمام الحسين (ع) وجناته. تعزز الروايات ذلك بقولها إن الإمام الحسين سيكون أول من يعود وسيحكم حتى تتدلى حاجباه على عينيه.
- الاستمرارية الطقسية: إن الطقوس الحزينة التي تمارس منذ قرون في عاشوراء والأربعين تُبقي ذكرى المأساة حية وتعبّر عن أن التاريخ لم يُختتم بعد. يعيد المجتمع معايشة الألم بينما ينتظر يوم الثأر.
- البعد العقلي: يجب ألا يُفهم توقف الزمن على أنه توقف فيزيائي بل على أنه توقف إسكاتولوجي. فالكون في حالة انتقالية بين الظلم والعدالة، حيث يتكرر الزمن المقدس لكربلاء حتى يبدأ يوم القيامة.

تُظهر هذه العناصر أن توقف الزمن منذ عاشوراء ليس مجرد استعارة شعرية، بل عقيدة إلهية متجذرة بعمق. إنها تجمع بين التفسير القرآني والحديث والممارسة الطقسية والعقل لتكوين رؤية عالمية متماسكة يكون فيها استشهاد الإمام الحسين (ع) نقطة التحول بين التاريخ والأبدية. بالنسبة للمؤمن، يعني ذلك أنه يعيش في عصر انتظار: يستعد لمجيء

الإمام المهدي (ع) وعودة الإمام الحسين (ع) من خلال تعزيز العدالة ومحاربة الطغيان
والحفاظ على ذكرى كربلاء حية. عندما يظهر القائم (ع) وتحدث الرجعة، ستبدأ ساعة
التاريخ بالدق مرة أخرى – ليس لتكرار الدورة، بل لفتح مرحلة جديدة من العدالة الإلهية
حيث ينال الظالمون عقابهم المستحق ويرث الصالحون الأرض.